

فنُ الترشيح بين التصوير البياني والتحسين البديعي

شعيب يحيى * ID

جامعة سعيدة د. مولاي الطاهر، الجزائر
yahia.chaib@univ-saida.dz

نشر: 2023/12/31

مقبول: 2023/12/30

استلم: 2023/02/15

The Art of Strengthening between Figure of Speech and Embellishments

ABSTRACT: This paper discusses the term (Strengthening) and its adverbs in figure of speech and the embellishments. The research tried to study the Strengthening in all the figure of speech and not only in the metaphor. He also tried to study the changes of its meanings in the field of the verbal embellishments, because its meanings were undergoing some change in this field, which led to a multiplicity of concepts. and the approach adopted in the completion of this research was descriptive and analytical.

KEYWORDS: Strengthening, figure of speech, embellishments, Rhetorical innovation, rhetoric.

المخلص: يتحدّث هذا البحث عن مُصطلح الترشيح وأحواله في الصور البيانية والمحسنات البديعية. فقد حاول البحث أن يطرّق الترشيح في كلّ الصور البيانية وليس فقط في الاستعارة كما هو الشأن في كتب البلاغة. كما حاول في مجال المحسنات البديعية أن يرصد التغيّرات التي طرأت على دلالاته، إذ لم تثبت دلالاته في بعض المحسنات ونجم عن ذلك تعدّد في المفاهيم. وقد كان المنهج المعتمد في إنجاز هذا البحث وصفيًا تحليليًا.

الكلمات المفتاحية: الترشيح، الصورة البيانية، المحسنات، ابتكار بلاغي، البلاغة.

1. مقدمة:

من الإشكالات التي اعترضت تطوُّرَ الدرسِ البلاغيِّ كثرةُ مُصطلحاته واختلافُها بين البلاغيين. وكذا فَوْضَى التقسيمات التي طالت كثيراً من مباحثه. ومن هذه المصطلحات التي عرِّفت تحوُّلاً في الدلالة وقصوراً في التقسيم مُصطلح (الترشيح) الذي ظهر في مجالين اثنين من مجالات علم البلاغة، وهما: علم البيان، وعلم البديع.

ففي جانب البيان نجد الترشيح شاملاً لكلِّ الصور البيانية، غير أنَّ كتب البلاغة لا تكاد تذكره إلا كقسم من أقسام التصوير الاستعاري. وفي جانب البديع نجده مصاحباً لبعض المحسنات البديعية، إلا أنَّه لم يثبت على دلالة واحدة، بل طُرأت عليه بعض التغييرات الدلالية. مما قد يُسبِّب بعضَ الحيرة والغموض لدارس البلاغة العربية.

ومما سبق نستطيع أنْ نصوِّغَ إشكالية بحثنا فيما يلي: ما معنى الترشيح في الصور البيانية، والترشح في المحسنات البديعية؟، وسنعمد للإجابة عنها على المنهج الوصفي التحليلي وبعض التمثيلات اليسيرة. وذلك وفق العناصر التالية:

- مفهوم الترشيح في البلاغة العربية.
- الترشيح في الصور البيانية.
- الترشيح في المحسنات البديعية.

2. مفهوم الترشيح في البلاغة العربية:

2.1 لغة:

جاء في لسان العرب: "وأصل التَّرشِيح: التَّزْيِينُ والتَّهْيِئَةُ؛ يُقَالُ: رُشِّحَ فلانٌ للإمارةِ أَي هُيِّئَ لَهَا" (ابن منظور، 1414هـ. ج 1 ص 711). ويُضيف صاحبُ تاج العروس: "والتَّرشِيحُ: التَّزْيِينُ والتَّهْيِئَةُ لِلشَّيْءِ... وَرُشِّحَتِ الْأُمُّ وَلَدَهَا بِاللَّبَنِ الْقَلِيلِ إِذَا جَعَلْتَهُ فِي فِيهِ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ حَتَّى يَقْوَى عَلَى الْمَصِّ، وَهُوَ التَّرشِيحُ" (الزَّبيدي، دت، ج 6 ص 394).

فقلوه (حتى يَقْوَى) يُشير إلى معنى التقوية الذي هو من لوازم الترشيح. فالتهيئة للشيء تستلزم تقويةً له قبل حصوله، وترشيحُ الأمِّ ولَدَها باللبن يستلزم تقويةً للولد. فالدلالة اللغوية للترشيح تدور حول التهيئة والتقوية، وهو ما يرفد الدلالة الاصطلاحية كما سنرى.

2.2 اصطلاحاً:

يُعَدُّ ابنُ أبي الإصبع المصري (ت 654هـ) من أوائل مَنْ تحدَّثَ عن هذا المصطلح (يُنظر أحمد مطلوب، 1983م. ج 1 ص 132)، وذلك في كِتَابِيَّته: تحرير التحرير، وبديع القرآن.

وقد جَعَلَهُ لا يأتي إلا بِصُحْبَةِ فَنٍّ بلاغي آخر، فالترشيحُ فنُّ بلاغي يأتي دائماً مُرافقاً لفنٍّ بلاغيٍّ آخر فيأتي مع الاستعارة ومع التورية ومع الطباق وغير ذلك. ولمَّا كان لا يلزمُ فنّاً بعينه ذَكَرَهُ ابنُ أبي الإصبع قِسْماً منفرداً وَخَدَهُ مِنْ فَنُونِ الْبَلَاغَةِ فِي الْكِتَابَيْنِ.

وقد يُوحي تعريفُهُ للترشيح أنَّه يَخْصُهُ بضروب البديع فقط أو يجعله شَرْطاً لتحقيقِ الفنِّ البديعيِّ، إذ يقول في تحرير التحرير: "وهو أنْ يُؤْتَى بِكَلِمَةٍ لا تَصْلُحُ لِضَرْبٍ مِنَ الْمَحَاسِنِ حَتَّى يُؤْتَى بِلَفْظَةٍ تُؤَهِّلُهَا لذلك" (ابن أبي الإصبع المصري، 1963م. ص 271). ويقول في بديع القرآن: "وهو أنْ يُرِيدَ الْمُتَكَلِّمُ ضَرْباً مِنْ ضُرُوبِ الْبَدِيعِ فَلَا يَتَأَتَّى لَهُ الْإِتْيَانُ بِهِ مُجَرَّدًا حَتَّى يَأْتِيَ بِشَيْءٍ فِي الْكَلَامِ لِيُرْشِّحَهُ لِمَعْنَى ذَلِكَ الضَّرْبِ" (ابن أبي الإصبع المصري، 1957م. ص 103).

غير أنَّ نَظْرَةً فِي أمثلته وشروحه التي ذكرها بعد ذلك تَجْعَلُنَا نفهم أنَّه لا يقصد تخصيص الترشيح بالبديع دون غيره، لأنَّه جَعَلَ الاستعارة والتشبيه مما قد يلحقُهُ الترشيح، كما جعل التورية قد تأتي مع الترشيح وقد تأتي دونهُ. فهو إذاً لا يقصدُ جَعْلَ الترشيح شَرْطاً لوجود الفنِّ البلاغي الذي يلحقه، يقول: "وقد تقدَّم في باب الاستعارة الترشيح للاستعارة، وفي باب الطباق الترشيح للمطابقة، وكثيراً من أبواب البديع يدخلُهُ الترشيح" (ابن أبي الإصبع المصري، 1957م. ص 104).

كما فَرَّقَ ابْنُ أَبِي الإصْبَعِ بَيْنَ التَّرْشِيحِ وَالتَّوْرِيَةِ، عِنْدَ مَنْ يَجْعَلُونَ التَّرْشِيحَ خَاصًّا بِهَا فَقَطْ أَوْ يَجْعَلُونَهَا شَيْئًا وَاحِدًا، فَذَكَرَ ثَلَاثَةَ أَوَاجِهِ هِيَ كَمَا يَلِي (ابن أبي الإصْبَعِ، 1963م، ص271):

- أحدها أَنَّ مِنَ التَّوْرِيَةِ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَرْشِيحٍ وَهِيَ التَّوْرِيَةُ الْمَحْضَةُ.
 - والثَّانِي أَنَّ التَّرْشِيحَ لَا يَخْصُ التَّوْرِيَةَ دُونَ بَقِيَّةِ الْأَبْوَابِ، بَلْ يُعْمُ الْإِسْتِعَارَةُ وَالطَّبَاقُ وَغَيْرُهُمَا مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَبْوَابِ.
 - والثَّالِثُ أَنَّ لَفْظَةَ التَّرْشِيحِ فِي الْكَلَامِ الْمُؤَرَّى غَيْرُ لَفْظَةِ التَّوْرِيَةِ.
- وهكذا يُمكننا بَعْدَ مَا سَبَقَ صِيَغَةً تَعْرِيفٍ أَكْثَرُ دِقَّةً لِلتَّرْشِيحِ يُرَاعِي مَا اسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ مَدْلُولَاتُ الْمَصْطَلَحَاتِ الْبَلَاغِيَةِ، فنقول: التَّرْشِيحُ هُوَ أَنْ تُذَكِّرَ كَلِمَةً صُحْبَةً صُورَةً بَيَانِيَةً أَوْ مُحَسِّنٍ بَدِيعِيٍّ لِيُغَرِّضَ تَهْيِئَتَهُ وَتَقْوِيَتَهُ.

3. التَّرْشِيحُ فِي الصُّورِ الْبَيَانِيَةِ:

يُذَكِّرُ مُصْطَلَحُ التَّرْشِيحِ فِي أَقْسَامِ الْإِسْتِعَارَةِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الصُّورِ الْبَيَانِيَةِ، إِذْ قَسَّمَ الْبَلَاغِيُونَ الْإِسْتِعَارَةَ لاعتباراتٍ مُتَعَدِّدَةٍ إِلَى تَقْسِيمَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ، كَانَ مِنْهَا تَقْسِيمُهُمُ الْإِسْتِعَارَةَ بِحَسَبِ ذِكْرِ الْمَلَائِمَاتِ أَوْ عَدَمِ ذِكْرِهَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: الْمُرْشَّحَةُ، الْمَجْرَدَةُ، الْمَطْلُوقَةُ. فَصَارَ لَفْظُ (الْمُرْشَّحَةِ) مُرْتَبِطًا بِصُورَةِ الْإِسْتِعَارَةِ مِمَّا يُوْهِمُ أَنَّهُ خَاصٌّ بِهَا وَحْدَهَا، وَفِي الْحَقِيقَةِ إِنَّ ظَاهِرَةَ التَّرْشِيحِ لَا تَوْجِدُ فِي الْإِسْتِعَارَةِ فَقَطْ، بَلْ تَوْجِدُ فِي غَيْرِهَا مِنَ الصُّورِ الْبَيَانِيَةِ الْآخَرَى كَالْتَشْبِيهِ وَالْمَجَازِ الْمُرْسَلِ وَالْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ. وَقَدْ أَشَارَ بَعْضُ الْبَلَاغِيِّينَ أحيانًا إِلَى وَجُودِ التَّرْشِيحِ فِي الصُّورِ الْآخَرَى، غَيْرَ أَنَّ تَسْمِيَةَ أَحَدِ أَقْسَامِ الْإِسْتِعَارَةِ بِ (الْمُرْشَّحَةِ) هُوَ الَّذِي جَعَلَ الْذَهْنَ لَا يَكَادُ يُخْرِجُ التَّرْشِيحَ عَنِ التَّصْوِيرِ الْإِسْتِعَارِيِّ. وَنَسْتَحْدِثُ أَوَّلًا عَنِ التَّرْشِيحِ فِي الصُّورَةِ الْإِسْتِعَارِيَّةِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ عَنِ تَرْشِيحِ الصُّورِ الْبَيَانِيَةِ الْآخَرَى:

3.1 التَّرْشِيحُ الْإِسْتِعَارِيُّ:

مِنْ تَقْسِيمَاتِ الْإِسْتِعَارَةِ الَّتِي يَذْكُرُهَا الْبَلَاغِيُونَ أَنَّهُ تَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ، كَمَا نَجِدُهُ عِنْدَ الْخَطِيبِ الْقَزْوِينِيِّ (ت 739هـ) (يُنْظَرُ الْخَطِيبُ الْقَزْوِينِيُّ، 2003م، ص228): أَحَدُهَا: الْمُرْشَّحَةُ، وَهِيَ الَّتِي قُرِنَتْ بِمَا يُلَائِمُ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ. وَثَانِيًا: الْمَجْرَدَةُ، وَهِيَ الَّتِي قُرِنَتْ بِمَا يُلَائِمُ الْمُسْتَعَارَ لَهُ. وَثَالِثًا: الْمَطْلُوقَةُ، وَهِيَ الَّتِي لَمْ تَقْتَرَنْ بِصِفَةٍ وَلَا تَفْرِيعٍ كَلَامٍ.

3.1.1 الاستعارة المرشحة:

وَهِيَ "مَا قُرِنَ بِمَا يُلَائِمُ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ" (التفتازاني، 1992م، ج4 ص130). أَيْ وَهِيَ اسْتِعَارَةٌ قُرِنَتْ بِمَا يُلَائِمُ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ، عَلَى أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَلَائِمُ الْمَذْكُورُ زِيَادَةً عَلَى الْقَرِينَةِ، إِذْ لَا تُعَدُّ قَرِينَةً تَرْشِيحًا. وَتُسَمَّى الْمُرْشَّحَةُ مِنَ التَّرْشِيحِ وَهِيَ التَّقْوِيَةُ. فَسُمِّيَتْ الْإِسْتِعَارَةُ الَّتِي ذُكِرَ فِيهَا مَا يُلَائِمُ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ مُرْشَّحَةً لِأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى تَنَاسِيِ التَّشْبِيهِ حَتَّى كَأَنَّ الْمَوْجُودَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ هُوَ الْمَشَبَّهَ بِهِ دُونَ الْمَشَبَّهِ. فَإِذَا ذُكِرَ مَا يُلَائِمُ الْمَشَبَّهَ بِهِ دُونَ الْمَشَبَّهِ كَانَ ذَلِكَ مُوجِبًا لِقُوَّةِ ذَلِكَ الْمَبْنَى فَتَقْوَى الْإِسْتِعَارَةُ بِتَقْوَى مَبْنَاهَا لَوُقُوعِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، أَخْذًا مِنْ قَوْلِكَ رَشَّحْتُ الصَّبِيَّ إِذَا رَيَّيْتَهُ بِاللَّبَنِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى يَقْوَى عَلَى الْمَصِّ (الدسوقي، 1992م، ج4 ص130).

وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16]. فَإِنَّهُ اسْتُعِيرَ الْإِسْتِعَارَةَ لِلِاسْتِبْدَالِ وَالِاخْتِيَارِ، ثُمَّ رُشِّحَ بِمَا يُلَائِمُ الْإِسْتِعَارَةَ مِنَ الرِّيحِ وَالتَّجَارَةِ. أَيْ: إِنَّ الْإِسْتِعَارَةَ مُسْتَعَارًا مِنْ اسْتِبْدَالِ مَالٍ بِآخَرٍ إِلَى اسْتِبْدَالِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ وَاخْتِيَارِهِ عَلَيْهِ، بِدَلِيلِ تَعَلُّقِهِ بِالضَّلَالَةِ وَالْهَدَىٰ بِجَامِعِ تَرْكٍ مَا هُوَ أَحْصَىٰ بِالتَّارِكِ لِلاتِّصَالِ بِبَدَلِهِ الْمَرْغُوبِ عِنْدَ التَّارِكِ. وَلَمَّا اسْتُعِيرَ الْإِسْتِعَارَةَ لِلِاسْتِبْدَالِ الْمَذْكُورِ قَرَّعَ عَلَيْهِ مَا يُلَائِمُ الشَّرَاءَ مِنْ نَفْيِ الرِّيحِ فِي التَّجَارَةِ، وَنَفْيُهُ يُلَائِمُ الْمَشَبَّهَ بِهِ، وَذَلِكَ مِمَّا يَزِيدُ فِي قُوَّةِ تَنَاسِيِ التَّشْبِيهِ حَتَّى كَأَنَّ الْمَشَبَّهَ بِهِ هُوَ الْمَوْجُودُ. فَكَانَ تَرْشِيحًا أَيْ تَقْوِيَةً لِلِاسْتِعَارَةِ، فَتَكُونُ الْإِسْتِعَارَةُ مُرْشَّحَةً (المغربي، 1992م، ج4 ص131).

3. 1. 2 الاستعارة المجردة:

وهي "ما قُرِنَ بما يُلائِمُ المستعار له" (التفتازاني، 1992م، ج 4 ص 128). وتُسَمَّى مجرّدة لتجرّدها عمّا يُقَوِّها مِنْ إطلاق أو ترشيح، لأنَّ المستعار له صار بذكر مُلائِمِهِ بعيداً مِنْ دَعْوَى الاتِّحاد. كقول الشاعر (يُنظر ديوان كُثَيَّر عَزَّة، 1971م، ص 288):

عَمُرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلِقَتْ لِضَحْكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ
فالرداء وهو الثوب مُستعار للعطاء، ووجه الشبه صَوْنُ كُلِّ مِنْهُمَا صَاحِبُهُ عَمَّا يَكْرَهُ. فالثوب يصون ما يُلقَى عليه مِنْ كُلِّ ما يَكْرَهُ جَسًّا، والعطاء يصون عِرْضَ صَاحِبِهِ. ومُطْلَقُ الصَّوْنِ عَمَّا يَكْرَهُ مُشْتَرِكٌ بَيْنَهُمَا. وقد أَضَافَ إِلَيْهِ الْعَمُرُ الْمَلَائِمَ لِلْعَطَاءِ (المستعار له)، ومُلاءمة الْعَمُرِ لِلْعَطَاءِ صحيحة مع كَوْنِ الْعَمُرِ فِي الْأَصْلِ مجازاً (يُنظر المغربي، 1992م، ج 4 ص 12).
فالاقتران بما يُنَاسِبُ المستعار له أو المستعار منه إنما يُراد ما يُلائِمُه سواء أكانت ملاءمته له حقيقة أم مجازاً. لأنَّ (العمر) حقيقة في الماء الكثير، فإطلاقه على الكثير من المعروف وتجريده لاستعارة الرداء للمعروف تجرّيدٌ بما يُلائِمُ المستعار له مجازاً لا حقيقة (السبكي، 1992م، ج 4 ص 131).

3. 1. 3 الاستعارة المطلقة:

وهي "ما لم تقتِرْ بصفةٍ ولا تفرِّع" (التفتازاني، 1992م، ج 4 ص 127). وتُسَمَّى مُطلقة لإطلاقها عن وجود الملائمات. فهي الاستعارة التي لم تقتِرْ بصفةٍ تُنَاسِبُ أَحَدَ الطَرَفَيْنِ، ولا بتفرِّعٍ كلامٍ يُنَاسِبُ وَيُلائِمُ أَحَدَ الطَرَفَيْنِ. "والفرق بين الصفة والتفرِّع أنَّ الملائم إن كان من بَقِيَّةِ الكلام الذي فيه الاستعارة فهو صفة، وإن كان كلاماً مُستَقِلًّا جِيءَ بِهِ بعد ذلك الكلام الذي فيه الاستعارة مُبَيَّنًّا عَلَيْهِ.. فهو تفرِّعٌ سواء كان بحرف التفرِّع أو لا" (الدسوقي، 1992م، ج 4 ص 127).

3. 2 ترشيح الصور البيانية الأخرى:

رأينا أنَّ كُتُبَ البلاغة تذكر مُصطلحَ الترشيح في صورة الاستعارة فقط دون غيرها من الصور البيانية، رغم أنَّ الترشيح قد يلحق أيضاً بالتشبيه والمجاز المرسل والمجاز العقلي، غير أنَّ البلاغيين لم يُخَصِّصُوا أقساماً خاصة بترشيح الصور البيانية الأخرى كما فَعَلُوا مع الاستعارة. وكان الأخرى بهم أن يفعلوا ليزول كثيرٌ من الالتباس الذي قد يحصل في تحليل بعض العبارات الأدبية.

وقد ذكر ابنُ أبي الإصبع أنَّ الترشيح قد يقع في التشبيه، وذلك في قوله:

"وأما ترشيح التشبيه فكقول النابغة الذبياني:

إِذَا اسْتُزِلُّوا عَنْهُمْ لِلطَّعْنِ أَرْقُلُوا إِلَى الْمَوْتِ إِرْقَالُ الْجَمَالِ الْمَصَاعِبِ"

(ابن أبي الإصبع، 1963م، ص 274).

والإرقال: ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ. والمصاعب جمع مصعب: وهو الفحل المتَّخِذ للفرحلة.

الشاعر يصف قومًا بالشجاعة في الحرب، فشَبَّهَ سَيْرَ الْقَوْمِ بِإِرْقَالِ الْجَمَالِ الْمَصَاعِبِ.

المشبه: سَيْرُ الْقَوْمِ. والمشبَّه به: إِرْقَالُ الْجَمَالِ الْمَصَاعِبِ. فالتشبيه بليغ.

والملاحظ أنَّ الشاعر أَلْحَقَ الإرقال وهو من مُلائِمَاتِ المشبَّه به (الجمال) بالمشبَّه (القوم)، وبَدَل أن يقول (ساروا) قال (أرقلوا).

فلفظ (أرقلوا) - عِنْدَ ابْنِ أَبِي الإصْبَعِ - هو ترشيحٌ لتشبيه (سير القوم) بـ (إرقال الجمال).

كما ذَكَرَ الدسوقي (ت 1230هـ) في باب الاستعارة التخيلية كلامًا صريحاً عن كَوْنِ الترشيح ليس خاصاً بالاستعارة. يقول: "والحاصل أنَّ الترشيح لا يختصُّ بالاستعارة التصريحية، بل يكون للتشبيه، ويكون للمجاز المرسل، وللمجاز العقلي، ويكون للمكني عنها بعد وجود قرينتها التي هي التخيلية" (الدسوقي، 1992م، ص 157).

ثم يذكر الدسوقي تعريفاً عاماً لترشيح الصور البيانية فيقول: "فضابطُ الترشيح أن يُذكر ما يُلائمُ المشبّه به أو المتجوّز عنه أو الأصل الذي حَقُّ الإسنادِ أن يكونَ له. ففي الاستعارة والمجاز المرسل يُعتبر بعد قرينتهما، وفي التشبيه والمجاز العقلي يُعتبر مُطلقاً" (الدسوقي، 1992م، ص157).

وهذا تعريف واضح وصريح بأنّ الترشيح يشمّل كل الصور البيانية، وكان على مَنْ جاء بعد الدسوقي من البلاغيين أن يتَّخذوا من هذا الكلام أساساً لإضافة فصلٍ خاصٍ بترشيح كلّ صورةٍ على حدة، ولا يقصُرُوا الترشيح على الاستعارة فحسب. وفيما يلي سنحاول أن نطرح نموذجاً للترشيح في كلّ من: التشبيه، والمجاز المرسل، والمجاز العقلي.

3. 2. 1 الترشيح في التشبيه:

وتعريفه كما ذكر سابقاً هو: أن يُذكر ما يُلائمُ المشبّه به.

ومن نماذجه بيتُ النابغة الذبياني السابق الذي مثّل به ابنُ أبي الإصبع. وكذلك قولهم (أظفارُ المنية الشبيهة بالسبع أهلكَتْ فلانا). وهذا المثال يُعده السكاكي (ت 626هـ) من الاستعارة التخيلية التي انفصلت عن المكنية (يُنظر السكاكي، 2000م، ص487، وص497)، وهو يخالف قولَ الجمهور الذين يرون عدم الانفكاك بينهما مُطلقاً. ولذلك كان هذا المثال عند الجمهور من ترشيح التشبيه، لأنَّ الأظفار في مثال (أظفار المنية الشبيهة بالسبع) ترشيحٌ للتشبيه لا تخيل.

المشبّه: المنية. المشبّه به: السبع. ولفظ (الأظفار) من ملائمتِ المشبّه به (السبع)، وذكره هو ترشيحٌ للتشبيه بين (المنية) و(السبع).

ومثله قول الشاعر (البيت للمنازي، يُنظر ابن حجة الحموي، 2005م، ج3 ص92):

نزلنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم

إنَّ الشاعر ذكر تشبيهاً بين طرفين (حنو البستان وحنو المرضعات) وذكر الفعل (حنا) وهو من ملائمتِ المشبّه به مُلحَقاً بالمشبّه، وهذا ترشيحٌ للتشبيه.

3. 2. 2 الترشيح في المجاز المرسل:

ونستطيع أن نصوغ تعريفه بالشكل التالي: هو أن يُذكر ما يُلائمُ اللفظ المتجوّز، بعد أن تُستوفي القرينة.

ومن نماذجه قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأزواجه الطاهرات: "أَسْرَعُكُمْ لُحُوقاً بِي أَطُولُكُمْ يَدًا" (ابن حجر العسقلاني، 1379هـ، ج3 ص287)، فإنَّ (اليد) مجازٌ مُرسل عن النعمة لصدورها عن اليد، وقوله (أَطُولُكُمْ) ترشيحٌ لذلك المجاز.

وجعلُ (أَطُولُكُمْ) مأخوذاً من الطُول وهو ضدُّ القَصَر ليناسب اليد الأصلية، فيكون ترشيحاً يُؤدّي إلى خُلُو الكلام عن الإخبار بكثرة الجود المقصود، اللهمَّ إلا أن يُقال إنه استُعير الطُول للاتِّساع في العطاء وكثرته فيكون ترشيحاً باعتبار أصله، لما تقرَّر من أنَّ الترشيح يجوز إبقاؤه على حقيقته ولا يُقصد منه إلا التقوية، ويجوز استعارته لملائم المعنى المجازي المراد من اللفظ (حاشية الدسوقي، 1992م، ص157).

3. 2. 3 الترشيح في المجاز العقلي:

ونستطيع أن نصوغ تعريفه بالشكل التالي: هو أن يُذكر ما يُلائمُ الأصل الذي حَقُّ الإسنادِ أن يكونَ له.

ومن نماذجه قولُ الشاعر (يُنظر البيت: عبد القاهر الجرجاني، 2001م، ص26):

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ

فإنه بعدما شبّه السَّيْرَ بالسَّيْلَانِ وعَبَّرَ به عنه، أَسْنَدَهُ إلى الأباطح جمع أبطح، وهو المكانُ المتَّسع، الذي فيه دقاق الحصى، إسناداً مجازياً، وأعناقُ المطيِّ مُناسب لمن ثَبَّتَ له السَّيْرُ حقيقةً وهو القَوْمُ، فهو ترشيحٌ للمجاز العقلي (يُنظر الدسوقي، 1992م، ص157).

4. الترشيح في المحسنات البديعية:

في علم البديع أخذ فنُّ الترشيح حيزاً خاصاً به كموضوع مُستقل، وقد ذكره كثيرٌ من أصحابِ البديع في بديعياتهم. وَلَعَلَّ أَوَّلَ مَنْ سَبَقَ بذكره -كما أشرنا سابقاً- هو ابن أبي الإصبع (يُنظر ابن أبي الإصبع، 1963م، ص 271). وجعله كما رأينا مُلازماً لفنون بديعية أخرى، كالطباق والتورية.

وفيما يلي سَتَعْرِضُ لِبَعْضِ هذه الفنون التي قَدْ يَلْحَقُهَا الترشيح.

4.1 ترشيح الطباق:

ونستطيع تعريفه بقولنا: هو أن يُؤتى بكلمة تُهَيَّئُ لَأَنْ يَصْلُحَ وقوعُ الطباق مع كلمةٍ أخرى.

وذلك كَقَوْلِ الشاعر (يُنظر شرح ديوان المتنبي، 1986م، ج 4 ص 143):

وَحُفُوقُ قَلْبٍ لَوْرَأَيْتَ لِهَيْبَتِهِ يَا جَنَّتِي، لَطَنَنْتَ فِيهِ جَهَنَّمَ

فإنَّ لفظة (يا جَنَّتِي) رَشَّحَتْ لفظة (جهنم) للطباق، ولو قال مكانها (يا مُنِيَّتِي) لم يَكُنْ في البيت طباق. أي: جاء بلفظ (يا جَنَّتِي) تمهيداً وتهيئةً لتَصِحَّ المطابقة بين (جهنم) وبينها (يُنظر ابن أبي الإصبع، 1963م، ص 272).

وترشيح الطباق بهذا المعنى وَضَعَهُ البلاغيون القُدَامَى كابن أبي الإصبع، وقد تابعه ابن حَجَّة الحموي في خزانة الأدب عند حديثه عن فنِّ الترشيح، غير أنَّ ابن حَجَّة حين تحدَّث عن فنِّ الطباق أورد في آخره شَرْطاً جمالياً للطباق، فقال: "إنَّ المطابقة إذا أتى بها الناظم مُجَرَّدَةً ليس تحتها كبير أمر، ونهاية ذلك أن تطابق الضدُّ بالضدِّ، وهو شيء سهل، اللهمَّ إِلَّا أن يترشَّح بنوعٍ من أنواع البديع، يُشاركه في البهجة والرونق" (ابن حَجَّة الحموي، 2005م، ج 2 ص 78).

فجعل ابنُ حَجَّة اجتماعَ المطابقة بغيرها من أنواع البديع ترشيحاً لها يزيدها بهجة ورونقا، غير أنَّه ذكر لفظ (يترشَّح) في كلامه دون أن يجعله مصطلحاً لهذا الضرب الذي يجتمع فيه الطباق بغيره.

ويبدو أنه جاء بعده مَنْ قرأ كلامه وَقَرَّرَ أن يَطْلُقَ على ظاهرة اجتماع الطباق بلونٍ بلاغيٍّ آخر اسم: ترشيح الطباق. وَعَرَفَ ترشيح الطباق بقوله: "أن يوجَد بجانب التضادِّ بين المعنيتين صورةً أخرى من صُورِ البديع أو لَوْن من ألوان البلاغة، فَيَتَقَوَّى الطباق بذلك، ويكتسب طَلَاوَةً وبهاءً، ويزداد المعنى وضوحاً وبياناً" (بسيوني، 1998م، ص 150). و(يُنظر مطلوب، والبصير، 1999م، ص 442).

وهكذا نجد أنَّ مُصطلح (ترشيح الطباق) قد أخذَ مَنْجَى دلاليّاً آخر غير الذي رُسم أوَّلًا. فبعدما كان ترشيح الطباق هو (أن يُؤتى بكلمة تُهَيَّئُ لَأَنْ يَصْلُحَ وقوعُ الطباق مع كلمةٍ أخرى) صار يُطلق أيضاً على (اجتماع الطباق بلونٍ بلاغيٍّ آخر).

وَمِنْ أمثلته التي ذكروها قوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: 73]، فقد اجتمعَ في الآية الطباق واللف والنشر.

4.2 ترشيح التورية:

ونستطيع تعريفه بقولنا: هو أن يُؤتى بكلمة تُهَيَّئُ لَأَنْ يَصْلُحَ وقوعُ التورية في كلمةٍ أخرى.

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: 42]. فإنَّ لفظة (رَبِّكَ) رَشَّحَتْ لفظة (رَبِّه) لِأَنْ يكون تورية، إذ يحتمل أن يُراد بها الإله سبحانه وتعالى، وأن يُراد بها الملك. ولو وَقَعَ الاختصار على قوله (فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّه) دون قوله (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) لَمْ تَدُلْ لفظة (رَبِّه) إِلَّا على الإله سبحانه فحسب. لكنَّ لَمَّا تَقَدَّمت لفظة (رَبِّكَ) وهي لا تحتل إلا الملك صلحت لفظة (رَبِّه) للمعنيين (يُنظر ابن أبي الإصبع، 1957م، ص 104).

ومثله قولُ الشاعر (ديوان التهامي، 1982م، ص 308):

وَإِذَا رَجَوْتُ الْمُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا تَبْنِي الرَّجَاءَ عَلَى شَفِيرِ هَارٍ

فلفظ (الشفير) يُرْشِّحُ لفظ (الرجاء) للتورية برجاء البئر وهو ناحيتها. ولولا ذكر لفظ (الشفير) ما كان في لفظ (الرجاء) تورية، ولكن من (رجوت) بمعنى ضدّ اليأس فقط، لقوله أوَّلًا (وإذا رجوت المستحيل) (ابن معصوم المدني، 1969م، ج 6 ص 17).

وترشيحُ التورية بهذا المعنى وَضَعَهُ بعضُ البلاغيين القُدَامَى كابن أبي الإصبع، غير أنَّ البعض الآخر (الحموي، 2005م، ج 4 ص 85)، وكذا مَنْ تلاههم وجاء بعدهم إلى زمننا أَطْلَقُوا اسماً آخر على هذا النوع من التورية هو: التورية المهيأة، وعَرَفُوهَا بقولهم: "هي التي لا تقع التورية فيها إلا بلفظٍ قبلها أو بعدها" (الهاشمي، 1999م، ص 300).

فصار اسمُ (التورية المهيأة) عندهم يُطلق على هذا النوع الذي سمَّاه القُدَامَى (المرشحة).
أما مُصطلح (التورية المرشحة) عندهم فصار يُطلق على نوعٍ آخر لا يبعدُ هو أيضاً عن المعنى اللُّغوي للترشيح. فالتورية المرشحة "هي التي اقترنت بما يُلائم المعنى القريب، وسُمِّيَتْ بذلك لتقويتها به لأنَّ القريب غير مراد فكأنَّه ضعيف فإذا ذُكر لازمه تَقَوَّى به" (الهاشمي، 1999م، ص 300). أو باختصار "هي التي يُذكر فيها لازمُ المُوَرَّى به" (المراغي، 1993م، ص 328). وذلك كقول الشاعر (البيت أورده بعض المصادر، يُنظر السكاكي، 2000م، ص 537):

حملناها طُرّاً على الدُّهْمِ بعدما خَلَعْنَا عَلَيْنَا بِالطَّعَانِ مَلَابِسَا
فالمعنى القريب للدُّهْمِ الخيول السود، وهو ليس بمراد، والمعنى البعيد القيود من الحديد وهو المراد، ورشَّح التورية بذكر (حَمَلْنَاهُم) المناسب للمعنى القريب.

5. خاتمة:

- في ختام هذا البحث نستطيع أن نُوجِزَ أهمَّ نتائجهُ في النقاط التالية:
- الترشيحُ فنُّ بلاغي يأتي دائماً مُرافقاً لفنِّ بلاغيٍّ آخر فيأتي مع الاستعارة ومع التورية ومع الطباق وغير ذلك. ولمَّا كان لا يلزمُ فنّاً بعينه ذَكَرَهُ ابنُ أبي الإصبع قِسْماً منفرداً وَخَدَهُ مِنْ فنونِ البلاغة.
 - يُعدُّ ابنُ أبي الإصبع مِنْ أوائل مَنْ تَعَرَّضَ للترشيح، وتعريفه له قد يُوحى أَنَّهُ يَخْصُهُ بضروب البديع فقط أو يجعله شَرْطاً لتحقيق الفنِّ البديعي. غير أنَّ ابنَ أبي الإصبع جَعَلَ الاستعارة والتشبيه مما قد يلحقهُ الترشيح، كما جعل التورية قد تأتي مع الترشيح وقد تأتي دونهُ.
 - يُمكننا اقتراح تعريفٍ أَكْثَرُ دِقَّةً للترشيح يُراعي ما استقرَّتْ عليه مدلولاتُ المصطلحات البلاغية، فنقول: الترشيحُ هو أنْ تُذَكِّرَ كَلِمَةً صُحْبَةً صُورَةً ببيانيةٍ أو مُحَسِّنٍ بديعيٍّ لِمُغْرَضٍ تَقْوِيَّتُهُ وَدَعْمُهُ.
 - يُذكرُ مُصطلحُ الترشيح في أقسامِ الاستعارة دون غيرها من الصور البيانية، وفي الحقيقة إنَّ ظاهرة الترشيح لا توجد في الاستعارة فقط، بل توجد في غيرها من الصور البيانية الأخرى كالتشبيه والمجاز المرسل والمجاز العقلي.
 - ضابطُ الترشيح في هذه الصور البيانية أنْ يُذَكَّرَ ما يُلائِمُ المشبَّه به أو اللفظُ المتجوِّز أو الأصل الذي حَقُّ الإِسْنَادِ أنْ يَكُونَ له. وفي الاستعارة والمجاز المرسل يُعتبر بعد قرينتهما، وفي التشبيه والمجاز العقلي يُعتبر مُطلقاً.
 - يُذكرُ الترشيحُ في محسِّناتِ البديع كفنِّ يُصَاحِبُ الطباق والتورية.
 - عُرِفَ ترشيح الطباق في البداية بكونه: (أنْ يُؤْتَى بكَلِمَةٍ لا تصلحُ لِضَرْبٍ من المحاسن حتى يُؤْتَى بلفظةٍ تُؤَهِّلُهَا لذلك). ثمَّ تَحَوَّلَ مفهوم ترشيح الطباق بعدها إلى: (اجتماع الطباق بلونٍ بلاغيٍّ آخر).
 - وعُرِفَ ترشيح التورية في البداية هو الآخر بكونه: (أنْ يُؤْتَى بكَلِمَةٍ لا تصلحُ لِضَرْبٍ من المحاسن حتى يُؤْتَى بلفظةٍ تُؤَهِّلُهَا لذلك). ثمَّ تَحَوَّلَ هو أيضاً إلى التورية (التي اقترنت بما يُلائِمُ المعنى القريب، أو التي يُذكر فيها لازمُ المُوَرَّى به).

6. قائمة المراجع:

- القرآن الكريم
- بسيوني عبد الفتاح فيُود، علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومَسائل البديع، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1418هـ، 1998م.
- التفتازاني، سعد الدين، مختصر سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح، من كتاب شروح التلخيص، الجزء الرابع، دارالهادي، بيروت، ط4، 1412هـ، 1992م.
- الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ، 2001م.
- ابن حَجَر العسقلاني أحمد بن علي أبو الفضل، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب. دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
- ابن حَجّة الحموي، أبو بكر بن علي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق دة كوكب دياب، دار صادر، بيروت، ط2، 1425هـ، 2005م.
- الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على شرح السعد، من كتاب شروح التلخيص، الجزء الرابع، دارالهادي، بيروت، ط4، 1412هـ، 1992م.
- الزَّيدي، أبو الفيض مرتضى محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- السَّبيكي، بهاء الدين، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، من كتاب شروح التلخيص، الجزء الرابع، دارالهادي، بيروت، ط4، 1412هـ، 1992م.
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ، 2000م.
- القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.
- قلقيلة، عبد العزيز، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1412هـ، 1992م.
- المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة - البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1414هـ، 1993م.
- المصري، ابن أبي الإصبع:
- بديع القرآن، تحقيق حفي محمد شرف، نهضة مصر، مصر، دط، 1957م.
- تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق حفي محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، دط، 1383هـ، 1963م.
- مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق، 1403هـ، 1983م.
- مطلوب أحمد، والبصير كامل حسن، البلاغة والتطبيق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ط2، 1420هـ، 1999م.
- ابن معصوم المدني، السيد علي صدر الدين، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط1، 1389هـ، 1969م.
- المغربي، ابن يعقوب، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، من كتاب شروح التلخيص، الجزء الرابع، دارالهادي، بيروت، ط4، 1412هـ، 1992م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، الحواشي: ليلياجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

- الهاشمي، السيّد أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1999م.
- الدواوين:
- ديوان الهامي، أبي الحسن علي بن محمد، تحقيق محمد بن عبد الرحمن الربيع، مكتبة العارف، الرياض، ط1، 1402هـ، 1982م.
- ديوان كُتَيْب عَزَّة: جمعه وشرحه إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، دط، 1391هـ، 1971م.
- شرح ديوان المتنبي: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ، 1986م.
- شرح عقود الجُمَان في المعاني والبيان: جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (911هـ)، تحقيق إبراهيم محمد الحمداني، وأمين لقمان الحَبَّار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2011م.

سير ذاتية للمؤلفين

الدكتور شعيب يحيى، أستاذ البلاغة العربية في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب واللغات والفنون، جامعة الدكتور الطاهر مولاي في مدينة سعيدة، دولة الجزائر. حاز على شهادة ليسانس في تخصص اللغة عام 2000، ومن ثم حصل على شهادة الماجستير في تخصص بلاغة وأسلوبية عام 2008، متبوعاً بشهادة الدكتوراه في علوم البلاغة والأسلوبية عام 2016. تحصيل شهادة التأهيل الجامعي في عام 2018.